

#### كلمة في المنهاج (4)

## "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"

بقلم الشيخ؛ أبي محمد المقدسي

قال الله تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى  
الْعَالَمِينَ} [البقرة: من الآية 251]

وقال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ  
فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ  
اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ\* الَّذِينَ أَنَا فِي الْأَرْضِ  
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ  
وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: 40-41]

يبين الله تبارك وتعالى في هذه الآيات المحكمات أن  
الفساد المترتب على المدافعة والضرر المتوقع من الجهاد؛  
لا شيء - وإن عظمه الناس وكرهوا الجهاد من أجله - في  
مقابل ما ينتج عن ترك الجهاد من فساد؛ ولذا أهمل  
سبحانه ولم يذكر ما يترتب على المدافعة والجهاد من  
مفاسد قد يضحّمها كثير من السذج السطحيين؛ وذلك لأنها  
لا تذكر بالمقارنة مع تلك المفاسد العظيمة المترتبة على  
ترك الجهاد..

فالله ذو فضل على العالمين بما شرعه للمسلمين من  
فريضة جهاد الكفار ودفع فسادهم وإفسادهم وشركهم،  
وبما قدره من علو توحيده وغلبة المؤمنين الذين تصلح بهم  
الأرض، ولو بعد حين..

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من آثار ترك  
مدافعة الكفار وإهمال جهادهم ومن عقوبات الله على  
ذلك؛ أن يسلب الله على الأمة ذلاً لا ينزعه عنها حتى ترجع  
إلى دينها..

"فالباطل - كما يقول سيد قطب رحمه الله - متجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول، ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه؛ بل لا بد من قوة تحميه وتدفع عنه؛ وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان".

وقد عدد الله في الآيات أعظم المفاسد المترتبة على ترك الجهاد فذكر فيها؛ فساد المعمورة ومن عليها؛ ولا شك أن أعظم فساد في الأرض؛ الإشراف بالله بصوره المتنوعة؛ سواء بإعلان التنديد له بدعوى أنه ثالث ثلاثة أو بنسبة الصاحبة والولد إليه كما يفعل اليهود والنصارى، أو بما نشاهده اليوم من تنحية شرع الله وتسليط طواغيت الأرض بشرائعهم الشركية على رقاب العباد ومنحهم لسلطة التشريع المطلقة لأنفسهم ولشركائهم المتفرقين.. فما هذا وذاك إلا شيء من الفساد العظيم والمتشعب الذي ترتب على ترك الجهاد ومدافعة الكفار..

ومن ذلك أيضا هدم المساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيرا..

ولا شك أن عمران بنيانها اليوم في ديار الكفر بل والمبالغة في البذخ فيه وفي زخرفته في الوقت الذي تمسخ فيه رسالتها بطمس معالم العقيدة والتوحيد عن منابرها ورفع أسماء أئمة الكفر والأنداد المتفرقين عليها؛ وكل ذلك من آثار ترك المسلمين للجهاد؛ لا شك أن ذلك أعظم من هدم المساجد حقيقة وقتل الأنفس وسفك الدماء إذ "الفتنة أكبر من القتل" أي فتنة المسلم عن دينه وتوحيده وإيمانه ورده إلى الإشراف بالله؛ أعظم من القتل وسفك الدماء مهما عظم وكثر وضخمه الناس..

فلو اقتتلت المعمورة جميعها حتى تفني بعضها بعضا؛ لكان هذا أهون عند الله من الإشراف به، وأهون من رد المسلم عن دينه وفتنته عن عقيدته وتوحيده بتسليط أهل الكفر عليه وفرضهم لشرائعهم وأنظمتهم وملهم الكافرة على الخلق؛ والذي هو ثمرة من ثمرات إهمال المسلمين لفريضة جهادهم ودفعهم وذبحهم..

هذه مبادئنا وأصولنا أهل الإسلام.. وهي أصول محكمة معلومة في ديننا لا يجهلها أو يغفلها مسلم شم رائحة العلم..

وهي أصول من أهملها ولم يعتبرها وبنى بنيانه عليها؛  
خرج بفتاوى ونتائج ومبان عوجاء شوهاء قائمة على شفا  
جرف هار..

وأكبر شاهد على هذا وعلى جهل كثير من المنتسبين  
للإسلام بل والعلم وبعدهم عن حقيقة دين الله؛ ما نراه  
ونسلمه اليوم من شجب واستنكار وتبر من الجهاد  
والمجاهدين وتسميتهم بالمجرمين والإرهابيين؛ وما درى  
هؤلاء السفهاء الذين ينعتونهم بذلك إن إرهاب الله  
من أعظم الفرائض في دين الله وأن تشريدهم والقعود  
لهم في كل مرصد من أوجب واجبات الإسلام، وأن  
إرغابهم من أهم سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم..

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ  
رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ  
دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: من الآية 60]  
وقال سبحانه: {فَأَمَّا تَتَقَفْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ  
خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْعُونَ} [الأنفال: 57] وقال عز من  
قائل: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ  
وَاحْضَرُوهُمْ **وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ**} [التوبة: من الآية  
5]

وفي الحديث الصحيح: (نصرت بالرعب مسيرة  
شهر) (..) وجعل رزقي تحت ظل رمحي)

والحقيقة أن وضوح هذه الأصول في ديننا لأوضح من  
الشمس في رابعة النهار؛ وهي والله لا تخفى حتى على  
أعداء هذا الدين؛ ولذلك يكشرون عند الحقائق عن ناب  
العداوة لدين الإسلام نفسه إذ هم يعرفون حقيقته؛ وقد  
قرأت مرارا وتكرارا لكثير من النصارى والمستشرقين  
كلما يبينون فيه بوضوح حقيقة الجهاد في دين الإسلام،  
ويردون شبه المنهزمين من علماء الفتنة الذين يسعون في  
مسخ هذه الحقائق تلتفا للغرب الكافر وإرضاء لهم..  
ولبيان حالهم بل ومقالهم في كثير من الأحيان يقول:  
**{نَخِشِي أَنْ نُصِيبَنَا دَائِرَةٌ} {فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ  
بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِحُّوا عَلَيَّ مَا اسْتَرَوْا  
فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ} [المائدة: من الآية 52]**

ولا شك أن من يسعون جاهدين في طمس هذه الحقائق  
وتمبيعها؛ هم في الحقيقة من أهل الإرجاف والنفاق الذين  
لا يثقون بموعود الله ولا يفقهون سنته **{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا**

**مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** {  
[التوبة: 87] ولذا ترأهم عندما يرون تائب الأحزاب على  
أهل الحق يغترون بعددهم وعتادهم ويخشونهم أشد من  
خشية الله؛ وتعلم عند التقاء الصفوف أنهم في الحقيقة  
أهل مقالة: **{ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**  
[الأحزاب: من الآية 12]

أما أهل الإيمان الراسخ الذين ينظرون بنور الله  
ويعرفون حقيقة الجهاد وبركات المدافعة فيقولون: **{ هَذَا  
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا  
زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** [الأحزاب: من الآية 22]

**أبو محمد المقدسي**